بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[سُلوك عُلماء «نجد» تجاه فِكر وكُتب المخالف]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد...

فهذه مقالةٌ مختصرٌ، كتبتها قبل خمس عشرة سنة، تبيانًا للحقِّ، ورأيتُ نشرها اليوم كما هي.

والحامل عليها آنذاك أنَّ بعضَ الكتبة زعم أنَّ «أئمة الدعوة السلفية» في «نجد»، متعصِّبون لمعتقدهم، ولا يقرؤون إلا كتبَهم، وما وافقها، وأمَّا كُتب مخالفيهم، فلا يقرؤونها، ولا يأخذون ما فيها، وإنْ كان حقًّا، وحرَّموا النظرَ فيها، وأنَّهم كانوا يأمرون بأخذ كتب المخالفين من بين أدي الناس، ويحرقونها، وكانوا لا يعتبرون بقول الآخر.

وهذه من التُّهم الباطلة التي يذكرها المخالفون في شبههم حول «الدعوة السلفية» للإمام المجدد، شيخ الإسلام: محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللهُ، والواقع يكذب ذلك، كما أنَّ التاريخ يشهد ببطلان هذا الافتراء.

وكنت أتعجب ـ حينها ـ كيف يتلقَّف بعض النَّاس هذه القالات، ودونهم مُصنَّفات ورسائل «أئمة الدعوة السلفية»، وهي بين أيديهم ورقيًّا ورقميًّا، ولو فتشوا فيها لرأوا الحقَّ، وأراحوا واستراحوا.

وأنا في هذه «المقالة» لا أكتبُ دفاعًا عنهم، بل أنقلُ نصوصًا يسيرة جدًّا، تُفند هذه الدعوى الباطلة، والتي يقف وراءها مُروِّجوا الباطلِ، والمناوئون للحقِّ.

والحقُّ الذي لا مرية فيه:

أنَّ أئمةَ «الدعوة السلفية» في «نجد» واسعوا الاطلاع، ومن طالع الجامع لجل تراثهم الموسوم بـ: «الدُّرر السنية»؛ رأى في رسائل «أئمة الدعوة» عجبًا، من سعة الاطلاع، وكثرة النقول من كتب كثيرة، في عامة الفنون، بل يأتي لهم ـ أحيانًا ـ نقدٌ تفصيليٌ لبعض الكتب، نابعٌ من مطالعةٍ لكاملِ الكتابِ.

ولكن المنهج الذي سلكوه، أوجب عليهم؛ عرْض كلِّ ما قرأوه على: «الكتاب»، و «السنة»، فما وافقهما أخذوا به، وإلاَّ فلا، واحترام كُلِّ قولٍ يخالفونه، بشرط أن يكون خلافًا مُعتبرًا، ودائرة الخلاف تسعه.

ومِمَّا يؤكد ما قلتُه:

١ ـ أنَّ من يقرأ في مصنفات ورسائل «أئمة الدعوة»؛ سيجد نقولاً عن علماء يختلفون معهم في المسائل الاعتقادية والفقهية؛ منهم: العلامة جارالله الزمخشري، من كتابيه: «الكشاف عن حقائق التنزيل»، و «الفائق في

غريب الحديث»، والإمام محمد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ، والأول معتزلي والثاني أشعري متصوّف.

وفي النَّقْلِ عن هؤلاء، والاستفادة منهم، ردٌّ على هذه المزاعم الباطلة.

٢ ـ أنَّ الإمام: عبدالله بن سعود[١]، أوفدَ كُلاً من: القاضي عبدالعزيز بن حمد المُشَـرَّفي[٢]، وعبدالله بن محمد بن بَنْيَان[٣] رَحِمَهُمُ اللهُ، برِسالة (للصُّلْحِ) عام (١٢٣٠هـ)، إلى والي «مصرَ»: محمد علي باشا.

وذكر المؤرخ العلامة: عبدالرحمن الجبرتي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في: «تاريخه» الكبير، المعروف باسمه، وقائع هذه الرحلة إلى «مصرَ»، وجاء فيه:

([أنَّ الباشا] أطلقَ لهما ـ أي: الرسولين ـ الإذن إلى أي محلٍ أراداه.

فكانا يركبان، ويمران بالشوارع بأتباعهما، ومن يصحبهما، ويتفرّجان على البلدة، وأهلِها.

ودخلا «الجامع الأزهر»، في وقتٍ لمْ يكنْ به أحدٌ من المتصدرين للإقراء والتدريس، وسألا عن مذهب أحمد بن حنبل ﷺ، وعن الكتب الفقهية المُصَنَّفَة في مذهبه. فقيل: انقرضوا من أرض «مصرَ» بالكلِّيَّة.

واشتريا نُسَخًا من كتب: «التفسير»، و «الحديث»؛ مثل:

«الخازن»، و «الكشاف»، و «البغوي»، و «الكتب الستة»... وغير ذلك.

وقد اجتمعتُ بهما مرَّتين؛ فوجدتُ منهما:

أُنْسًا، وطلاقة لسانٍ، واطلاعًا، وتضلُّعًا، ومعرفةً بالأخبار، والنَّوادِر.

ولهما من: التواضع، وتهذيب الأخلاق، وحسن الأدب في الخطاب، والتفقه في الدين، واستحضار الفروع الفقهية، واختلاف المذاهب فيها، ما يفوق الوصف)[٤] ا.هـ

قلتُ: فهل يكونُ بعد هذا الوصف، مجالٌ لحاقدٍ يريدُ أنْ يرمي «أئمة الدعوة النجدية» ـ (الوهابية) زعموا ـ بسوءِ الأدبِ، والغلظة، والجهل، وقِلة العلم والاطلاع؟!

---

(١) الإمام: عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود (.... ـ ١٢٣٤هـ)، آخر حكّام «الدولة السعودية الأولى».

(٢) سبط شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب (١١٨٩ تقريبًا ـ ١٢٤١هـ)، كان عالمًا جليلاً، وفقيهًا نبيلاً، له علم ودراية، إلى جانب ما اشتهر به من الزهد والعبادة.

(٣) كُلُّ ما أعرف عنه؛ أنَّه رفيق العالم الجليل: عبدالعزيز بن حمد إلى «مصر»، للصلح، وأنَّه ذو ثقافة عالية، وإلا لما أرْسله الإمام عبدالله بن سعود.

وقيل: إنَّه أحد (ضباط) الإمام عبدالله بن سعود.

(٤) «تاريخ الجبرتي» (٤/ ٣٢٥).

وانظر: «السُّحب الوابلة» (٢/ ٦٩٢ ـ ٦٩٣)، و (حاشيته)، و «روضة النَّاظِرين» (١/ ٢٥٠ ـ ٢٥٢).

إنَّ هذا النصَّ ـ ومن مُؤرخ لا ينتمي لـ «نجد» ـ يجيب عن هذا السؤال، عِلمًا بأنَّ مَنْ أرْسلهما الإمام عبدالله بن سعود رَحِمَهُ اللهُ، ومع تقديري لهما، لمْ يكونا من أعلم أهل «نجد» في عصرهما، بل هناك من يفوقهما بكثير، ولو جالسهم الجبرتي رَحِمَهُ اللهُ، لازداد دهشة، وإعجابًا.

ثم إنَّ كُتبَ التفاسير المذكورة، تتضمن اعتقاداتٍ وأقوالاً، لا يقول بها «أئمة الدعوة»، ومع ذلك قاما باقتنائها؛ للاطلاع عليها، والاستفادة منها، ولتنويع مصادر الثقافة العلمية لديهم، كما سيأتي.

٣ ـ جاء في «رسالةِ» الإمام: عبدالله ابن الإمام المجدد رَحِمَهُمَا اللهُ، التي كتبها عند دخوله مع الإمام سعود ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ «مكةَ»:

(نستعينُ على فهم «كتاب الله ﷻ» بالتفاسير المتداولة؛ ومن أجلِّها لدينا: «تفسير ابن جرير»، و «مختصره» لابن كثير الشافعي، وكذلك «البغوي»، و «البيضاوي»، و «الخازن»، و «الحدَّاد»، و «الجلالين»، وغيرهم.

وعلى فهم «الحديث» بشروح الأئمة المبرزين؛ كـ: العسقلاني، والقسطلاني على «البخاري»، والنَّووي على «مسلم»، والمناوي على «الجامع الصغير».

ونحرصُ على «كتب الحديث» خصوصًا «الأمهات السِّت»، وشروحِها.

ونعتني بسائر الكتب في سائر الفنون، أصولاً وفروعًا، وقواعد، وسِيَرًا، ونحوًا، وصرفًا، وجميع علوم الأمة.

ولا نأمرُ بإتلاف شيءٍ من المؤلَّفات أصلاً، إلا ما اشتملَ على ما يُوقع الناسَ في الشِّرك؛ كـ: «روض الرياحين»[(١)]، وما يحصل بسببه خللٌ في العقائد؛ كـ: «علم المنطق»، فإنَّه قد حرَّمه جمعٌ من العلماء.

على أنَّنا لا نفحص عن مثلِ ذلك.

وكـ: «الدلائل»[(٢)]، إلاَّ إنْ تظاهر به صاحبه مُعاندًا؛ أُتْلِف عليه.

وما اتفق لبعض البدو من إتْلاف كتب بعض أهل «الطائف»، إنَّما صدر عن بعض الجهلة، وقد زُجِروا وغيرهم عن مثل ذلك)[(٣)] ا.هـ

---

(١) «روض الرياحين في حكايات الصالحين» ، ويُسمَّى: «نزهة العيون النواظر وتحفة القلوب الحواضر في حكايات الصالحين والأولياء الأكابر»، في أخبار الصوفية، وشطحاتهم، وفيه من الغلو في الصالحين، والبدع المحدثات، والأخبار والقصص المختلقة، ما يكون به فساد الاعتقاد، ألفه المؤرخ: عبدالله بن أسعد اليافعي ت (٧٦٨هـ)، صاحب: «مرآة الجنان» في التاريخ.

(٢) «دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار ﷺ»، لمحمد بن سليمان الجزولي ت (٨٧٠هـ)، وفيه: غلوٌّ في رسول الله ﷺ، وسؤالٌ بغير الله ﷻ، وذكرُ صلواتٍ مُبتدعة، وأخبارٌ لا تصح، وأورادٌ وأحزابٌ مُخترعةٌ.

(٣) انظر: «مشاهير علماء نجد» (ص ٣٨ ـ ٣٩)، و «علماء نجد» (١/ ١٧٣ ـ ١٧٤).

وبعض كتب التفسير وشروح الحديث المذكورة فيها ما لا يتفق مع عقيدة «أهل السُّنة والجماعة» في تقرير «العقيدة السلفية» والدعوة إليها؛ ومع ذلك كانوا يرجعون إليها، ويشيدون بها.

وتأمل أنَّ بعض الكتب التي تحوي على الغلو في الصالحين والبدع، لا يُتعرَّض لها، إلا إنْ تظاهر بها صاحبها، مُعاندًا في مقابل الحقِّ.

وتأمَّل ـ أيضًا ـ إنكارهم على من أتلف بعض الكتب على أصحابها، وأنهم جهلة من البادية، وليسوا طلبة علم، فضلاً عن أنْ يكونوا من «أئمة الدعوة».

٤ ـ من طالعَ ترجمة المُجدِّد الثاني، الإمام: عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب ت (١٢٨٥هـ)، وابنه: الإمام: عبداللطيف ت (١٢٩٣هـ) رَحِمَهُما اللهُ، يرى أنَّ من شيوخِهما:

شيخ الأزهر: إبراهيم بن محمد الباجوري ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ ت (١٢٧٧هـ) وهو أشعريٌ متصوف، وله حواشٍ في شرح «العقيدة الأشعرية»[(١)]، وأشعريته لمْ تمنعْهما من الأخذِ عنه.

وقرأ عليه الأوّل في: «شرح الخلاصة» للأشموني[(٢)]، إلى باب الإضافة، وحضر عليه في «السُّلَّم»[(٣)]. وهي منظومةٌ في عِلم المنطق الصوري[(٤)].

وهذه ـ أيضًا ـ من الأمثلة الواضحة والبيِّنة، على احترام «أئمة الدعوة السلفية»، لعُلماء الأُمَّة، بل والتتلمذ عليهم، والاستفادة منهم، ولو كانوا يختلفون معهم في مسائل في الاعتقاد فضلاً عن مسائل الفروع.

أمَّا ما اشتهر من شدَّتِهم، في بعض المواضع؛ فالمُنْصِف يعلم إنَّما كان ذلك مع المبتدعة الأقحاح، المعاندين، المكابرين، والمفترين عليهم بغير حقٍّ، وعند كلامِهم على البدع، ولاسيما الشركيَّة.

أمَّا مناقشاتهم لغيرهم، فيما يسع فيه الخلاف، فلا نجد شدةً، والشدةُ تُحْمَدُ في مكانِها، كما أنَّ اللين لا يُحمد في غير مكانه.

---

(١) له حاشية: «تحفة المريد»، وهي على متن «جوهرة التوحيد» للشيخ: إبراهيم اللقاني المالكي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ ت (١٠٤١هـ)، وله أيضًا حاشية على: «العقيدة السنوسية» للسنوسي، وحاشية على: «شرح العقائد النسفية» للتفتازاني، وحاشية على: «قصيدة البُردة» للبوصيري، والمتون الثلاثة الأولى مشهورة ومعتمدة في العقيدة الأشعرية والماتُريدية، والرابع من أشهر قصائد الغلو في رسول الله ﷺ، بل فيها أبياتٌ تدخل ضمن الشرك في توحيد الربوبية.

(٢) العلامة: علي بن محمد، الأشموني ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ ت (تقريبًا ٩٢٩هـ)، صاحب المُصنَّفات في «النحو» و «المنطق».
و «الخلاصة» هي «ألفية ابن مالك» في النحو، وللأشموني شرحٌ عليها: «منهج السالك إلى ألفية ابن مالك».

(٣) منظومة: «السُّلَّم المنورق في فن المنطق» للشيخ: عبدالرحمن الأخضري.

(٤) انظر: مقدمة: «قرة عيون الموحدين» (ص ٧)، و «علماء نجد» (١/ ١٩٠).

٥ ـ جاء في: «الدُّرَر السَّنية»[1]:

(سُئِلَ الشيخ: عبدالله ابن الشيخ محمد عن:

إهداء ثواب البدن للميت، من قراءة، وصلاة، وحج، وغير ذلك؟

فأجاب:

هذا فيه خلافٌ بين العلماء: هل يصل إلى الميت، أو لا؟

ولا يُنكر على مَنْ فعله، أو تركه) ا.هـ

قلتُ: لا شك أنَّ له رأيًا في هذه المسألة، ومع ذلك لمْ ينكرْ على المخالف.

وهذا الجواب العِلمي الجميل؛ أهونُ ـ صياغةً ـ من أجوبة بعض طلبة العلم اليوم، ممن يرون حرمة هذا الفعل، وأنَّه بدعة، والقطع بعدم وصول الثواب للميت، فأين شدة «أئمة الدعوة»، على القول المخالف؟!

هذا ما تسير وكفى؛ فالهدف الإشارة إلى الموضوع بمقالةٍ مختصرة، لا تحرير الكتابة فيه.

وبعد؛ فما أقبح الكذب، والافتراء.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر].

كتبه

عبدالله بن محمد الحوالي الشمراني

www.Almoqnea.com

Email: Shamrani45@Hotmail.com



(١) «الدرر السنية» ط. (قديمة) (٣/ ٤/ ٢٨٤)، وط. (جديدة) (٥/ ١٥٠).